العقل والعمران

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في سوثبورت في التاسع من سبتمبر وخطب فيهِ رئيسهُ السر تورمن لكبير خطبة طنانة كان لها اعظم وقع في نفوس الانكليز جعل مدارها على منزلة العقل من عمران الامم وعلى لوم الامة الانكليزية لانها لا تعنى بالتعليم العلي ولا تنفق عليهِ مثل الاميركيين والالمانيين وان ذلك سيكون علة تأخرها وسبق هاتين الامتين لها . وذكر لتأييد قولهِ حقائق كثيرة وادلة عديدة كما سيجيء . فترجمنا خطبتهُ ونحن في ذلك كالماكين الذين يجلسون حول صحفة من الفول المدمَّس ويتكلمون عن المآكل الفاخرة على موائد جيرانهم الاغنياء . ولكن ان انهضت هذه الخطبة بعض حكامنا او بعض اغنيائنا حتى يهتموا بامر التعليم لا يكون تعبنا في ترجمتها قد ذهب سدًى والاَّ فغاية ما يستفاد منها ان نرى كيف تطلب المزيد امةٌ نحسبها في مقدمة امم الارض ونحن نقنع بالخبز والماء ونتذكار مجد السلف . وهاك ترجمة الخطبة

تأثير العقل في التاريخ

ان اول فرض عليَّ في هذه الليلة الاشارة الى ما اصاب امتنا وهذا المجمع بفقد السياسي العظيم الذي فقدناهُ منذ عهد قريب . ونحن اعضاء هذا المجمع فقدنا بهِ رصيفًا من اعظم الرصفاء وطالبًا غيورًا من طلبة العلم انالنا الشرف بقيامهِ رئيسًا علينا . ولقد كان وهو رئيسٌ للوزارة يعترف بما يجب للعلم وهو الذي جعل الحكومة تعترف بفضل رجالهِ وتفهم للبلاد اعترافًا عامًّا ولذلك كلهِ تشاركوني في بث التعزية لعائلة لورد سلسبري كما اقرَّت عليها لجنة مجمعكم صباح اليوم

ولما اعتزل صديق العلم هذا رئاسة الوزراء في العام الماضي خلفهُ سياسيٌّ آخر بدت منهُ دلائل كثيرة على اهتمامهِ بالمباحث الفلسفية وصرَّح مرارًا كثيرة بما يدلُّ على انهُ يعرف نسبة العلم الى العمران الحديث ولذلك فنحن واثقون ان ما نالهُ العلم من المكانة في عهد التقهقر يتعزز ويزيد في عهد خلفهِ الذي شرَّف هذا المجمع بقبولهِ رئاستهُ في العام التالي وقبولهُ هذا يزيد هذه الرئاسة فخرًا

فيحق لنا ان نهنئ انفسنا لاسيما وان القرن العشرين الذي دخلناهُ سيكون اعظم من كل القرون التي سبقتهُ وان تاريخ العالم في الزمن الحاضر يتوقف كثير منهُ على تأثير القوى العقلية التي تستخدم نواميس الطبيعة وقواها ونواميس الانسان وقواهُ وان رجال السياسة سيضطرون

ان يزيدوا اهتماماً بالعلم والتعليم كاساسَيْن تُبنى عليهما الممالك وحارسَيْن يذودان عن حوضها

وسيُذكَر القرن التاسع عشر بانهُ اول قرن اعترفت فيهِ الامم المتمدنة بتاثير العلم فيها . وقد كان التقدم العلمي فيهِ عظيماً جداً حتى لم يجسر احد ان يتنبأ ان عصراً آخر من العصور التالية يفوقهُ في ذلك

اشار دزرائلي سنة ١٨٧٣ الى التقدم الذي تمَّ الى ذلك الحين فقال . " ما اعظم ما تمَّ في الخمسين سنة الاخيرة فان هذه المدة تفوق كل مدة تماثلها في تاريخ الانسان بما تمَّ فيها من عظائم الامور . ولست موجهاً فكري الآن الى قيام الممالك وسقوطها وانقلاب الدول وتأسيس الحكومات بل الى تلك النتائج العلمية التي اثَّرت اكثر من كل الاسباب السياسيَّة وغيرت احوال الناس وستغير مستقبلهم اكثر من كل الفتوحات والقوانين والشرائع "

ومن المحقق انهُ ينتج عن تقدم العلوم وتأخرها نتائج عديدة بالنسبة الى حياة الامة ومن هذه النتائج ان التأخر الصناعي والتجاري يكون على نسبة اهمال التربية العلمية

واول من اشار الى ذلك ابو ملكنا الحالي لما جاءنا من مدرسة بُن الجامعة ومن ثمَّ أُلِّفت اللجنة المنسوبة اليهِ فكانت سبباً في انشاء مدرسة الكيمياء التي صارت بعدئذٍ ادارة العلم والصناعة ومن ذلك الحين الى الآن وتحذير علمائنا يزيد شدَّة سنة فسنة . ولم يقتصر الامر على ذلك لان ليس المسألة متوقفة على ما تصنعهُ البلاد في القرن الواحد بالنسبة الى ما تصنعهُ في قرن آخر بل ان بث الحياة العلمية ومعرفة طرق الانتفاع بقوى الطبيعة لها في تقدم الامم وتأخرها شأن اعظم وتأثير اشد مما يظنهُ عادة

ولا شبهة في ان بريطانيا استفادت من تقدم العلم في اواسط القرن الماضي اكثر مما استفاد غيرها لانها كانت تمتلك انفع الخيرات الطبيعية وألزمها للصناعة اي الفحم الحجري والحديد فان استخدامهما لعمل الآلات والادوات جعلها اغنى بلدان المسكونة وصيَّرها مقرًّا للاختراع وتاجاً لهُ ودارًا للصناعة والمصنوعات كما قال عنها المستر كارنجي . ولما كنا اعظم الصانعين للمصنوعات واعظم المصدرين لكل نوع منها صرنا بواسطة سفننا اكبر اصحاب المتاجر ولذلك استتبت لنا السيادة على البحار

واول تغيير عظيم نتج عن استخدام النظريات العلميَّة كان في طرق استخراج المواد ونقلها فلما فتحت المناجم في البلدان الاخرى وصُنعت فيها الآلات وسهلت وسائل النقل ورخصت ضعف شأننا الذي كان قائماً باستعمالنا خيرات الارض قبل غيرنا . والعلم الذي لا يعرف لهُ وطناً بل هو مشاع للجميع اشرك الناس بزاياهُ فجاب التجار كل بلدٍ وجلبوا كل نفيس نافع ولذلك

فاول نتيجة عظيمة تجت عن تقدم العلوم ان قلّت سيادة بريطانيا المبنيّة على استعمالنا خيرات ارضنا وكانت هذه الخيرات مصدر غنانا وقوتنا بين الامم

وقد زاد الخطب لان حكّامنا واساتذة مدارسنا كانوا عميانًا يقودون عميانًا حين تقوّضت دعائم سيادتنا المبنية على ما لدينا من الخيرات الطبيعية وأُهملت قوانا العقلية مع ان ترقيتها في يدنا

اما جمهور الساسة عندنا فقلما يعلمون شيئًا عن مقدار ما للعلم من الشأن في ترقية امور الناس في هذا العصر وعن الاساس الحقيقي الذي تبنى عليه مصالح الامم ولذلك يحسبون ان لا شأن الاّ للامور السياسية والمالية . ولسنا الآن احسن ممّا كنّا قبلاً فلما قامت المناظرة في اقتراح المستر تشمبرلين لم يكد يذكر شيء عن تأثير العلم في الاسعار بل نُسب كل تغير فيها الى وضع الرسوم او عدم وضعها على بعض السلع ولم يخطر على بال المتناظرين ان اسعار الحنطة لم تهبط الاّ بعد الغاء رسوم الحبوب بثلاثين سنة او اربعين . وعندهم ان المخترعات الجديدة والسكك الحديدية والسفن البخارية امور طفيفة لا يعبأ بها وان ثروة الامم تتوقف على شعار رجال السياسة هل التجارة معفاة من الرسوم او غير معفاة منها

ونعلم الآن ممّا حدث في بلدان أُخرى انهُ لو كان وزراؤُنا اعلم ممّا هم واحكم وكانت مدارسنا الجامعة اكثر ممّا هي واكفى لارتقت قوانا العقلية بالتعليم والتهذيب وذلك بادخال العلوم الى المدارس وتعليمها بالامتحان والملاحظة والبحث لا بالمطالعة في الكتب . وإهمالنا ذلك هو الذي القانا وراء سائر الامم في استخدام العلم للصناعة حتى صارت تطبيقاتنا العلمية على الصناعة اقل اهمية ممّا كانت . وهذا ليس كل ما خسرناهُ بل خسرنا تقوية الحياة الادبية الناتجة عن بث الذوق العلمي بين كل طبقات الامّة واستخدام الاساليب العلمية في كل اعمالها . وكثيرون من اولي الامر بيننا يعرفون قليلاً من العلم ولا يهتمون بهِ مطلقًا لاننا لم نتعلّم انهُ يجب على الحكومة ان تنظم جيوشها للسلم كما تنظمها للحرب وان المدارس ضرورية لخير البلاد كالبوارج والفيالق ولا بدّ من ان تنظّم ويُنفق عليها مثلها

وغرض هذا المجمع على ما صرّح بهِ منشوءُ منذ اثنتين وسبعين سنة هو " تقوية البحث العلمي وتدريبهُ حتى يزيد انتظامًا وتقرب الصلات بين المشتغلين بالعلم في جهات الامبراطورية البريطانية وبينهم وبين غيرهم من العلماء الاجانب وتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم "

وسلفائي في هذا المنصب الذي اوليتموني الشرف بوضعي فيهِ بحثوا في القسم الاول من

غرض هذا المجمع فاجادوا وافادوا والآن ارى انهُ يجب عليَّ ان اخالف خطتهم واحصر بحثي في القسم الاخير لانهُ ان لم تستخدم الوسائل " لتعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ولنزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم " تعذَّرت علينا مناظرة الامم التي تعتمد على العلم اكثر مما نعتمد نحن عليهِ

الجهاد بين امم العصر

قال هكسلي منذ سنوات في البحث عن علاقة التعليم العلمي بالمعامل الصناعية اننا اصبحنا مضطرين الى الجهاد لاجل حفظ كياننا الجهاد الذي لا يسلم منهُ الاَّ من كان اصلح من غيرهِ للبقاء

وهذا جهاد بين الامم المنتظمة بعضها مع بعض لا بين افرادها جهاد يقوم فيهِ العلم والعقل مقام السيف والقوة الوحشية اللذين توقف عليهما تاريخ الامم وكيانها حتى الآن . وميدان هذا الجهاد المدارس الابتدائية والمدارس الكلية والمعامل الكيماوية والمعامل الصناعية

ولكن ان كان هذا صحيحاً فصناعنا لا تستطيع ان ترتقي وحدها لان العقل لا يمكن ان يقتصر على المعامل ان كانت الامم الاخرى تستعملهُ في كل اعمالها واجراءاتها

والمسألة هامة جدًّا لانها تستدعي تغييراً عظيماً . تستدعي ان نضع اساساً جديداً تثبت عليهِ الامبراطورية البريطانية بسبب الاحوال الجديدة التي طرأت على المسكونة . وانا واثق ان النداء الذي نادانا بهِ ولي العهد وهو " استيقظوا " يجب ان ينادَى بهِ رجال الحكومة كما ينادى بهِ ارباب الاعمال

والذي نحتاج اليهِ هو ان تنتظم قوى الامة كلها لكي تستطيع ان تقابل المطالب الجديدة التي يدعونا اليها تقدُّم العلوم مضافاً اليهِ ازدياد السكان وسائر العوامل التي تبنى عليها المزاحمة بين الامم . وهذا الامر يشمل كل وزير وكل نظارة من نظارات الحكومة بل يشمل الامة كلها ملكها واعيانها وعوامها فانهُ يجب عليهم كلهم ان يرقّوا التعليم العلمي الى درجة توَهل الامة لمقابلة المستقبل مهما كان . ويخطئ من يظن ان العلم لازم لترقية الصنائع فقط . وان ظن احد ان بريطانيا مقصرة في تعليم صنَّاعها فقط وان رجال حكومتها نائلون من المعارف العلمية والقوى العقلية ما يكفي لما تستدعيهِ احوال الزمان بعد ان انتشرت فيهِ العلوم فليراجع تقرير اللجنة الملكية التي أُقيمت للبحث عن الحرب في جنوب افريقية فانهُ يجد هناك ان الاسلوب الذي جرينا عليهِ في تلك الحرب غير صالح لما تستدعيهِ احوال جيش أُنشئ لنستطيع محاربة غيرنا بهِ . وليقرأ ايضاً خطبة رئيس الجمعيَّة الكيماوية الصناعية وما فيها من وصف الاساليب الفعَّالة التي لجأت اليها غُرف التجارة ومئتان وخمسون الف عامل لكي يوضع قانون الامتيازات

الصناعية على صورة يمكن العمل بها رغماً عن مستشاري ديوان التجارة وموظفيه . وقلَّ من يعلم مقدار المسائل العلمية التي تحتاج الحكومة الى حلها لان الامَّة كلها بمثابة معمل صناعي . واذا صار حكَّامنا وقضاتنا ومديرونا ورجال التنفيذ فينا من المتعلمين المتنورين واذا بطلت الاساليب التقليدية الاختبارية وأُبدلت بالاساليب العلمية الدقيقة صرنا كفأً لمناظرة غيرنا من الامم من كل وجه ادبيًّا وماديًّا

ومن البيِّن ان قوة الامة في الحرب قائمة بجيوشها وبوارجها واسلحتها واما قوتها في السلم ومناظرة غيرها من الامم فليست كذلك بل تعتمد فيها على اشياء أُخرى فاذا وطَّنت نفسها على الفوز في الحرب وجب ان تكون اقوى من خصيمتها بجيوشها وبوارجها وكذلك اذا وطَّنت نفسها على الفوز في حروب السلم وجب ان تكون اقوى من غيرها في مدارسها وادارتها العلميَّة وكل ما يزيد القوى العقلية

لقد خسرت صناعتنا وتجارتنا في المناظرة الحاضرة

ان حالة الامَّة من حيث صناعتها وتجارتها معروفة جيدًا لدى وزرائنا كما هي معروفة عندكم وعندي وحسبي ان اشير الى ما جاء في خطبتين الواحدة للورد روزبري والاخرى للمستر تشمبرلين . قال لورد روزبري

"ان الحرب التي اخشاها هي الحرب التجارية التي أُثيرت علينا . وحينما التفت الى ما حولي لا يمكنني الَّا ارى انهُ ان استطعنا ان نتبيَّ بشيء مما يحدث في القرن العشرين الذي دخلنا فيهِ فذلك الشيء هو المناظرة التجارية الشديدة بين الامم . فقد كنا اول امَّة في هذا العصر اكتشفت ان التجارة لازمة لحياة الامم ولذلك أُطلق علينا لقب "اصحاب المخازن" . اما الآن فصارت كل امَّة تود ان تكون من اصحاب المخازن . واذا امعنا النظر في احوال البعض من هذه الامم وفي مقدار استعدادهم وما فيهِ من الدربة رأينا انهُ يجب علينا ان لا نخاف بل ان نمنطق احقاءنا استعدادًا لما هو امامنا"

وقال المستر تشمبرلين "لا حاجة بي ان اقول شيئًا عن لزوم التربية العلمية . ولا ابالغ اذا قلت ان كيان هذه الامَّة كامَّة تجارية عظيمة يتوقف على هذه التربية . وبقاؤنا في آخر القرن العشرين ولنا السيادة التجارية او على الاقل المساواة بالامم التجارية العظيمة المناظرة لنا متوقف على ما نفعلهُ الآن في بداءة هذا القرن"

ويشار بهذا كلهِ الى صناعتنا وتجارتنا . وقد قصَّرنا لان التجارة لم تعد تتبع الرايات بل صارت تتبع العقول واصحاب معاملنا لا يهتمون بالحصول على ذوي العقول . ان احد المعامل الالمانية

التي تصنع المواد الكيماوية استخدم في السنوات الاخيرة اربع مئة عالم من الذين نالوا رتبة دكتور في العلم من اعلى مدارس المانيا الجامعة . وفي الولايات الاميركية المتحدة يخطف التلامذة النابغون في المدارس الجامعة خطفاً حالما يتمون دروسهم لكي يُستخدموا في ادارة الاعمال الكبيرة حتى شاع ان الشباب شعار النجاح في المعامل الاميركية . والحقيقة ان المعامل الاميركية لا تفتش عن الشبان بل عن المتعلمين ولما كان المتعلمون العلوم الحديثة شباناً صارت تفتش عنهم لتوليهم ادارتها . فالذي يؤهلهم لذلك ليس صغر سنهم بل اتقان تعليمهم . اما نحن في البلاد الانكليزية نتفضل دافع الرسم على المتعلم ولا نزال نجري على الاساليب الاختيارية التقليدية القديمة ونفضلها على الاساليب العلمية الحديثة وسبب ذلك في الغالب جهل رؤساء المعامل

واني اقصّر في ما يجب عليّ اذا لم اشر الى قصورنا الذي ذكرهُ لورد روزبري والمستر تشمبرلين وخافا من عواقبهِ وابيّن انهُ ليس الامر الوحيد الذي يجب الالتفات اليهِ فان الشاغل الذي يشغل بالنا ليس مقتصراً على صنّاعنا بل هو شامل حياتنا كلها كامّة لان العلم يجب ان يُحصَّل لذاتهِ ولان حياة الامّة سواء كانت من حيث صناعتها وتجارتها او من حيث سائر اغراضها وملابساتها تتوقف على شيوع الروح العلمية فيها

الحاجة الى مجمع يدير نظام العلم

ان الانتباه الحاضر الى حاجات الامة نتج اكثرهُ عن تحريض رجال العلم . ولكنّ الصورة التي صوّر بها المستر بلفور حالة التعليم عندنا في خطبتهِ التي تلاها في منشستر تدلُّ على ان كل تحريض رجال العلم منذ خمسين سنة الى الآن لم يكن كافياً . ثم اذا ثبت ما قلتهُ من ان سائر اداراتنا تحتاج الى الاصلاح كما تحتاج اليهِ ادارتنا العلمية واذا شاء رجال العلم ان يقوموا بما يجب على ابناء الوطن نحو وطنهم ويهتموا باصلاح شؤونهِ وجب علينا ان نبحث عن سبب الاغضاء عن تحريض رجال العلم في الماضي لئلاَّ يكون ناتجاً عن الصورة التي جاء التحريض فيها

لما خطب لورد روزبري امام غرفة التجارة الخطبة التي اقتبست منها العبارة المذكورة آنفاً قال ان الجماعات التي مثل اعضاء تلك الغرفة لا تفعل ما ينتظر منها . ولكن ان كان التجار يلامون لانهم لا يستعملون كل القوة التي يخوّلهم اياها نظامهم فكيف يكون شأننا نحن رجال العلوم وليس لنا اقل انتظام

وفي رأيي ان هذا هو السبب الحقيقي الذي يضعف رجال العلم ولا يجعل لهم صوتاً تسمعهُ الامة او تبالي بهِ الحكومة . والآن ان طلب احد منّا شيئاً فانما يطلبهُ من تلقاء نفسهِ

منفرداً لان ليس للعلم عندنا صوت عام في اكثر مسائل الامة وليس في البلاد جماعة منتظمة تتكلم بلسان اهل العلم

وقد فكّرت في هذا الموضوع مدة سنين كثيرة فوجدت انهُ يجب ان نصرف همنا الاول الى تنظيم جماعة من رجال العلم المهتمين بشؤونهِ مثل الجماعات التي تهتم بسائر الاعمال . وحدست في السنوات الاخيرة بتأليف مجلس مثل مجالس التجارة او عزوة او عصبة يكون اعضاؤها كثارًا جداً لتقوم بما احسبهُ لازماً لنا شد اللزوم . ومنذ عهد قريب اخذت اضع نظاماً لهذا المجلس او هذه العصبة فوجدت انني سُبقت الى ذلك والذي سبقني هو منشئُ مجمع ترقية العلوم البريطاني هذا

مجمع ترقية العلوم البريطاني

قلت في اول خطبتي ان من اول اغراض منشئ هذا المجمع "تعميم الاهتمام بالمواضيع العلمية ونزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم"

ويمكن ان يُهنأ كل من انضم الى هذا المجمع من اول انشائهِ الى الآن بان المجمع قام بكل الاغراض الاخرى التي انشئ لاجلها خير قيام . ولكني ارى ان الغرض الذي اشرت اليهِ آنفاً قد أُهمل تمام الاهمال واني اقول ذلك بناء على ما اختبرتهُ بنفسي مدة اربعين سنة عرفت فيها احوال هذا المجمع

ويظهر من تاريخ المجمع في اول نشأتهِ ان الغرض الذي اشرت اليهِ كان لهُ شأن كبير في اذهان مؤسسيهِ . ومهما يكن من ذلك فاني أُبين لكم كيف ان المجمع موافق للتأثير في الجمهور والجمهور يؤثر في الحكومة اذا كانت تنقاد اليهِ وذلك اولاً ان موضوعهُ غير مقتصر على فرع واحد او فروع محدودة من العلم . ثانياً ان عدد اعضائهِ كثير جداً يشمل قادة العلم ومحبيهِ على تنوّع فروعهِ ولذلك فاللجان التي تؤلف منهُ تكون قوية جداً . ثالثاً انهُ يعقد اجتماعاً كل سنة في الوقت الذي يسهل فيهِ الاجتماع والبحث على الناس والنشر على الجرائد . رابعاً يسهل عليهِ ترغيب الانصار وانتشار اللجان المحلية في اماكن مختلفة هنا وفي سائر بلدان السلطنة عبر البحار لان محل الاجتماع يتغير من سنة الى اخرى وليس محصوراً في هذه الجزائر

فعندنا اذاً مجلس علمي مستعد للنظر في كل المسائل العلمية التي تهم الامة وهو آلة فعّالة في كل المجالس واللجان المعدة للبحث في المسائل المحلية التي تزيد اهميتها يوماً فيوماً

وافاض الخطيب في وصف مجمع ترقية العلوم البريطاني وما سيكون لهُ من الشأن الكبير اذا انضمت الجمعيات العلمية اليهِ حتى بلغ اعضاؤهُ خمس مئة الف نفس واشتغل على مدار

السنة بدلاً من ان يشتغل اسبوعاً واحداً منها ويصدأ في بقيتها لقلة الشغل . واهتم بمصالح الامبراطورية الانكليزية عملية كانت او غير عملية . وانذر بسوء المصير اذا لم يفعل ذلك او لم ينشأ مجمع آخر يعمل هذا العمل . ويجب ان يكون اول اعماله انشاء المدارس الجامعة لتخريج الطلبة في العلوم العالية واستشهد بما قالهُ المستر تشمبرلين في شهر نوفمبر الماضي وهو

" لا يستطيع كل احد ان يتعلم العلوم العالية ولكن من الذين يتعلمون هذه العلوم تنتظر الرجال الذين يرفعون راية هذه البلاد في مناظرتنا التجارية والعملية والمالية مع الامم الاخرى . ولا شيءَ اهمّ لنا الآن من سد الخلل الذي يفرق بيننا وبين مناظرينا الادنين في المانيا واميركا وكندا واستراليا حيث تنفق الحكومات على التعليم العالي اكثر مما ننفق نحن . واود ان ارى الزمن الذي لا يعطى فيهِ منصب لاحد في ادارة معمل او مصنع او بيت تجاري ما لم يُرِ الادلة الكافية على انهُ تأهّل لذلك المنصب في مدرسة جامعة . ما هو قوام المملكة . قد تقولون ان قوامها اخلاق شعبها بنوع عام عقلهم وعزمهم وحزمهم ونحو ذلك من الاخلاق الفاضلة نعم ولكن هذا ليس كل ما تقوم بهِ الامم والممالك العظيمة ولا هو قوام عظمتها وانما قوام عظمتها رجالها العظام . هؤلاء يجب ان نعلمهم يجب ان ننتشل عنهم ولو في اوطإ الدرجات لكي يرتقوا الى اعلاها فيحفظوا كيان امتنا . ولذلك لا تستغربوا اذا قلت لكم انهُ حان للحكومة ان تزيد اهتمامها بامر التعليم العالي وتزيد انفاقاً عليهِ "

وذكر بعد ذلك كلام المستر بلفور الذي اثبت فيهِ ان المدارس الانكليزية الجامعة لا تعلّم الآن العلوم التي تقتضيها احوال الزمان وانهُ لا بدَّ من اصلاحها حتى يحفظ بها شأن الامة الانكليزية كما تحفظ بلدانها بواسطة بوارجها . وعاد الخطيب الى تبيين ما في المدارس الانكليزية الجامعة من التقصير وقال ان عندنا ١٣ مدرسة جامعة وعند اهالي الولايات المتحدة الاميركية ١٣٤ مدرسة جامعة . وعند الالمانيين ٣٢ مدرسة جامعة تنفق عليها الحكومة الالمانية وهي تنفق على مدرسة واحدة من هذه المدارس اكثر مما تنفق الحكومة الانكليزية على كل مدارسها الجامعة والكلية في انكلترا وارلندا واسكتلندا وويلس . ولم ينفق الشعب الانكليزي على مدارسهِ الكلية منذ ستين سنة الى الآن اكثر من اربعة ملايين جنيه مليونين منها على انشاء المدارس ومليونين ينفق ريعها السنوي على التعليم فيها . اما الشعب الاميركي فانفق في غضون السنوات الاخيرة على المدارس الكلية والجامعة اربعين مليون جنيه وقد انفق سبعة ملايين من الجنيهات بين سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وانفقت حكومة المانيا على بناء مدرسة ستراسبرج وحدها مليون جنيه وذلك يزيد عمّا

انفقهُ الشعب الانكليزي على بناء المدارس في منشستر ولفربول وبرمنهام وبرستل ونيوكسل وشفيلد. وكل ما تنفقهُ الحكومة الانكليزية سنويًّا على مدارسها الكلية والجامعة يبلغ ١٥٥٦٠٠ جنيه فقط واما الحكومة الالمانية فتنفق على مدرسة برلين وحدها نحو ١٧٠٠٠٠ في السنة

وبعد ان افاض في هذا الموضوع بيَّن ان الحكومة الانكليزيَّة تنفق ١٣ مليون جنيه في السنة على التعليم الابتدائي ولكنها لا تنفق شيئًا يذكر على التعليم العالي مع انها انفقت على بوارجها ١٢٠ مليون جنيه ولا تزال تنفق الملايين الكثيرة عليها. ثم قال ان انكلترا دون اميركا والمانيا وفرنسا وايطاليا في عدد مدارسها الجامعة واقتصر على مضاهاة انكلترا بالمانيا المناظرة الكبرى لها الآن في التجارة فقال انهُ يجب ان ينشأ في البلاد الانكليزية ثماني مدارس جامعة جديدة لكي تصير نسبتها فيها مثل نسبتها في المانيا وانهُ يجب على الحكومة ان تنفق على انشاء هذه المدارس ثمانية ملايين من الجنيهات وتساعد كل مدرسة منها بخمسين الف جنيه سنويًّا اي تساعدها كلها باربع مئة الف جنيه في السنة على الاقل

ثم قال ان مدرسة اكسفرد وحدها تحتاج الى ثلاثة ملايين من الجنيهات لكي تصير مثل المدارس الجامعة المناظرة لها. ولا تستكثر هذه المبالغ ولا اضعافها على الامَّة الانكليزية التي قدِّرت ثروتها منذ عامين بستة عشر الف مليون جنيه ولا عجب اذا استخدمت ملايين قليلة منها لحفظ باقيها وانمائها. والدولة التي تنفق ١٢٠ مليون جنيه على بناء بوارجها الحربيَّة لا يكثر عليها ان تنفق ثمانية ملايين جنيه على بناء ثماني مدارس جامعة. ثم ان النفقات السنوية ليست شيئًا بالنسبة الى ما تنفقهُ الدول المناظرة لانكلترا على مدارسها الجامعة فان فرنسا تنفق على مدرسة باريس الجامعة وحدها ٢٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

وعاد بعد هذا البيان الى فائدة المدارس الجامعة وما يقوم فيها من البحث العلمي واستطرد الى لزوم مجلس علمي عمومي يهتم بمصالح الامَّة كلها وتعتمد عليهِ الحكومة في حل المشاكل التي يقتضي حلُّها بحثًا علميًّا. وقال في الختام ان المصاعب التي تحول دون اتمام هذه الاغراض يسهل التغلُّب عليها كلها باليد القوية والمال الكثير

وقد ذكرت الجرائد الانكليزية هذه الخطبة بالاطراء ونشرتها جريدة التيمس برمتها وانشأت عليها مقالة افتتاحية عقَّبت فيها على الخطيب لانهُ علَّق النجاح كلهُ على التربية العلمية ولم يعلق منهُ شيئًا على التربية الصحيَّة والادبية لكنها اطنبت في مدح خطبتهِ وقالت انها محكمة الادلة وان اجتماع هذا المجمع في سوثبورت سيُذكر بها مدى الايام وان الحكومة لابدَّ من ان تهتم بما جاء فيها وتفعل بعضهُ ان لم تستطع فعلهُ كلهِ